جهود الشيخ مصطفى أحمد قشقش في خدمة القرآن وعلومه

د. مصطفى فرج محمد بن حميد

عضو هيئة تدريس، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم "قصر الأخيار"

mbenhmead@gmail.com

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية: مصطفى قشقش، جهود، القرآن الكريم.

الملخص

برزت جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة، قديما وحديثا، ومن جملة تلكم الجهود، جهود الشيخ مصطفى أحمد قشقش - رحمه الله- فقد أفنى أكثر من ستين عاما من عمره معلما ومقرئا للقرآن الكريم وعلومه.

وإدراكا مني لمكانة هذا العلم، وجهوده في خدمة القرآن الكريم وعلومه، كان لزاما عليّ الكشف عن الجهد الذي بذله، وذلك من خلال تتبع مسيرته القرآنية؛ ليتبوأ مكانه الطبيعي المرموق بين جملة أعلام البلاد الليبية والعربية

الـــنـــتـــائـــج

للشيخ مصطفى قشقش -رحمه الله- ، دور متميز وريادي في تعليم القرآن الكريم وعلومه.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

أهـــمـــيـــة الموضوع ودواعـي اخـــتـــيـــاره.

حرص العلماء "الليبيون"، على خدمة القرآن الكريم وعلومه، ومن جملة هؤلاء، الشيخ مصطفى أحمد قشقش _ رحمه الله _ فقد أفنى أكثر من ستين عاما من عمره مقرئا ومعلما للقرآن الكريم وعلومه.

وإدراكا مني لمكانة هذا العلَم، وجهوده في خدمة القرآن الكريم وعلومه، كان لزاما عليّ الكشف عن الجهد الذي بذله، وذلك من خلال تتبّع مسيرته القرآنية؛ ليتبوأ مكانه الطبيعي المرموق بين جملة أعلام البلاد، الليبية والعربية.

تساؤلات الدراسة.

جملة من التساؤلات كانت دافعا أصيلا لهذا البحث، فالسؤال الرئيس هو: هل يمكن رصد جهود مضنية للشيخ مصطفى قشقش -رحمه الله-، بذلها في خدمة القرآن الكريم وعلومه؟ ومن هذا السؤال المحوري، تتفرع العديد من الأسئلة الأخرى الشارحة له، والتي من شأنها الإلمام بالجوانب المختلفة للموضوع، وهي الآتي:

1_ من هو الشيخ مصطفى قشقش؟ وكيف كانت نشأته وحياته؟

2_ ما أبرز الجهود التي بذلها الشيخ مصطفى ɘ في خدمة القرآن الكريم وعلومه؟

جاء هذا البحث بعون الله وتوفيقه؛ ليجيب عن كل هذه التساؤلات.

مجال البحث وحدوده.

يقتصر البحث عن حياة الشيخ مصطفى قشقش ونشأته، وجهوده في خدمة القرآن وعلومه.

منهج البحث.

اعتمدت في هذا البحث ثلاثة مناهج، وذلك حسب ما تقتضيه طبيعة هذا الموضوع:

المنهج الأول: المنهج التاريخي الوصفي.

تظهر ملامح هذا المنهج في الجانب النظري أثناء ترجمة للشيخ ɘ (اسمه، مولده، نشأته).

المنهج الثاني: المنهج الاستقرائي.

تـظهـر مـلامـحـه فـي الـجـانـب الـتـطبيقـي، عند قراءة تفاصيل حياة الشيخ ومسيرته القرآنية في كتاب "مع الناس[1]"في أربع عشرة صفحة، قراءة هذه الصفحات قراءة متأنية، وكما تظهر ملامح هذا المنهج في نقل ما سمعته من أسرته عند زيارتي لهم.

المنهج الثالث: المنهج التحليلي.

اعتمدته عند دراسة جهود وإسهامات الشيخ مصطفى رحمه الله في خدمة القرآن الكريم وعلومه.

الدراسات السابقة.

قمت بدراسة سابقة عن جهود الشيخ مصطفى ﷺ في توطين رواية قالون والحفاظ عليها[2] ، ولكن الوقت لم يسعفني في الوقوف على كل جهود الشيخ في تلك الدراسة السابقة، فالمثار للعرض في هذا البحث، دراسة تلك الجهود، فهذه الدراسة تعدّ امتدادا للدراسة السابقة وتكميلا لها.

الصعوبات التي واجهت الباحث.

لكل باحث صعوبات تعترض طريقه، فالصعوبة التي واجهتني في هذا العمل هي نذرة المادة العلمية لهذا البحث فجزء كبير من البحث يعتمد على الرواية الشفهية من أبناء الشيخ وتلاميذه ومعاصريه، وهذا يستدعي مني الاتصال بهم والتواصل معهم والسماع منهم؛ لجمع المادة العلمية للبحث. بتوفيق من الله عزوجل تغلبت على هذه الصعوبات.

خطة البحث.

تقتضي طبيعة هذا البحث، أن تكون خطته على النحو الآتي:

المقدمة. وتتضمن: (أهمية الموضوع ودواعي اختياره، تساؤلات الدراسة، مجال البحث وحدوده، والمنهج المتبع في البحث، الدراسات السابقة، الصعوبات التي واجهت الباحث)

المطلب الأول_ حياة الشيخ مصطفى قشقش -رحمه الله -نشأته وحياته.

المطلب الثاني_ جهود الشيخ " مصطفى " -رحمه الله- في تحفيظ القرآن إدارة وتدريسا.

المطلب الثالث_ جهود الشيخ " مصطفى" -رحمه الله- في نصح وتوجيه طلاب القرآن وإرشادهم.

المطلب الرابع_ جهود الشيخ " مصطفى" -رحمه الله- في تعليم وتدريس علم القراءات.

الخاتمة، وتتضمن النتائج والتوصيات.

المطلب الأول_ حياة الشيخ مصطفى قشقش ﷺ نشأته وحياته.

اسمه ومولده:

هو مصطفى بن أحمد بن محمد بن محمد قشقش[3] ، يقول شيخنا ﷺ عن تاريخ ولادته: «ولدت بولاية قفصة[4] من القطر التونسي[5]، عام 1935م، من أبوين ليبيين من مدينة مصراتة[6]، وكان والدي ﷺ ، قد هاجر بأهله إلى القطر التونسي، مع من هاجر عام 1912م[7]، حيث استقر به المقام بولاية قفصة»[8] .

---

(1) هذا الكتاب يتألف من جزأين، لمؤلفه "الطاهر النعاس" من إصدارات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية(2009م) تناول عدّة شخصيات من مشائخ وعلماء وأدباء وكتّاب ليبين، تحدّث عن حياتهم وأبرز مجهوداتهم، من بين هؤلاء: الشيخ مصطفى قشقش ﷺ ، زار المؤلف " الطاهر النعاس" الشيخ في المسجد وسمع منه كل تفاصيل حياته، ودوّنها في كتابه هذا في أربع عشرة صفحة. ينظر: 2 /138_151.

(2) هذه الدراسة شاركت بها في المؤتمر الدولي الأول للهوية الدينية الليبية،تحت (شعار الهوية الدينية دعامة أساسية للوحدة الوطنية) برعاية الجامعة الأسمرية" كلية أصول الدين، المنعقد بتاريخ (15_18) صفر1444هـ، الموافق (10_13) 9 /2022م. ونشرت أعمال هذا المؤتمر في عدد خاص بمجلة كلية أصول الدين، العدد "السادس" جماد الأولى 1444هـ / ديسمبر 2022م.

(3) نقلت اسم الشيخ من ابنه معاذ مشافهة، في لقاء جمعنا به يوم الجمعة 30 ذو الحجة / 1443ه، الموافق 2022/7/29م بمسجد عبد الله بن عمر، بطرابلس، بعد صلاة المغرب.

(4) قفصة: بالفتح ثم السكون، وصاد مهملة، هي كبرى مدن الجنوب الغربي التونسي، وفيها يقع مقر ولاية قفصة، تخصصت قفصة في الصناعات الحرفية التقليدية، ثم تطورت مدينة قفصة بفضل استغلال مناجم الفوسفاط الذي اكتشف بها. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي.4/ 382.

(5) يقول المؤرخ التونسي، محمود مقديش الصفاقسي التونسي (ت1228ه / 1831م): «إن تونس-حرسها الله تعالى من كل سوء_ هي الآن كرسي إفريقية ولا كرسي بها غيرها، إذ هي مقرّ ملكها ودار سلطانها، وجميع ما ذكر من أوصاف الحسن لغيرها، من بهجة الدنيا والعلماء والصلحاء والملوك والخيرات، والمتاجر والعزة والنخوة والمراكب والأرزاق، وكل شيء يذكره اللسان في سائر البلاد احتوت تونس في عصرنا هذا منه على الحظ الأوفر» نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار. 1/ 117.

(6) مصراتة: مدينة ليبية، تقع على الساحل الغربي، شرقي العاصمة طرابلس، تتميز مصراتة بخصوبة أراضيها وأهميتها الاقتصادية وتعتبر العاصمة الاقتصادية والتجارية للبلاد، نظراً لنشاط حركة الموانئ وازدهار الصناعة والتجارة فيها. ينظر: معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي. ص 316.

(7) يعود السبب لهجرة الليبيين، إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصعبة التي فرضها الاحتلال الإيطالي في ذلك الوقت، ينظر: مجلة جامعة الزيتونة. العدد الثامن 2013م، بحث (هجرة بعض العلماء الليبيين إلى المشرق والمغرب في العهد الإيطالي، الأسباب والنتائج.) للباحث: عبد الله انبية المعلول، ص283.

(8) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 139.

نـــشـــــأتـــــه:

الشيخ ﵀ بدأت حياته مع القرآن، قبل سن العاشرة من عمره، إذ يقول: «وفي الخامسة من عمري ذهبت إلى الكتّاب[1]، مع أخي محمد، وكان يكبرني بثلاث سنين، وسبقني إلى الكُتّاب ..والطريف، ومازلت أذكر، أن بعض أصحابي الصغار من الجيران، اشترطوا عليّ لدخول الكُتّاب معهم أن أقرأ عليهم سورة " الناس" من الذاكرة.. فإذا قرأتها كما هي سليمة أخذوني معهم، وإلا تركوني بعيداً عن الكتاب، نجحت في الامتحان، ودخلتُ معهم الكُتّاب

بجدارة، ومنذ ذلك اليوم، وشعور التحدي ورغبة التفوق على الأقران، تدفعني إلى بذل الجهد وتكريس الوقت للحفظ الجيد، والقراءة الصحيحة، وكنت كلّما تقدمت في الحفظ، أزداد حرصاً على التلاوة المستمرة؛ لمّا حفظت وأكملت كتابة القرآن كله للمرة الأولى، ويسميها طلاب الكتّاب (الشَّقَّة[2])، كان عمري لا يتجاوز العاشرة، وكنت أحفظه كله عن ظهر قلب، ومن عجيب ما صادفني أيام حفظي، أني كنت أحفظ لَوْحي أحياناً بمجرد أن أكمل الكتابة مكتفياً لحفظه بما يميله شيخي بترديده أثناء الكتابة، والتركيز الشديد على ما أسمع من نطق سليم وقراءة صحيحة. وكنت في بعض الأحيان، أبذل جهداً كبيراً في حفظ اللوح، وأضع خطوطاً عددية أحصر بها عدد المرات التي أقرأ فيها اللوح، وعندما أفشل في حفظ لوحي ينتابني شعور بالفشل وإحساس بالخيبة وضياع الجهد، فاعمد إلى البكاء في صمت...ولشدة ما أبدو فرحاً عندما أستيقظ في الصباح القابل، وكل ما كتبت في اللوح، وعجزت عن حفظه أجده وكأنه منقوش في ذاكرتي» [3].

أسباب ودوافع نجاح الشيخ " مصطفى ﵀" في حفظ القرآن.

يرجع الفضل في نجاح الشيخ وتفوقه إلى الله سبحانه وتعالى ثم إلى والداه و شيخه علي بن شتوان[4]،رحمهم الله جميعا، يقول شيخنا: «وكان من أهم دوافعي النفسية لإحراز التفوق في النجاح، ذلك التشجيع الذي كنت ألقاه من أمي وأبي رحمهما الله تعالى، فهما لا يفتران عن تشجيعي والدفع بي إلى الكتّاب، حتى لا أتعوّد على الغياب والهروب من الكتّاب، كما يفعل بعض الأطفال، وكنت سمعت من أبي أنه كان يقف بالقرب من الكتّاب، متكئاً على سور المسجد ويلقي السمع للطلاب الكبار، الذين يقضون بعض الليل في التلاوة من الذاكرة، فيرفع يده ويشخص ببصره ويدعو الله في حرارة، أن يرزقه ولداً يحفظ القرآن، ويتلوه تلاوة صحيحة وجيدة، فكنت دعوة والدي ﵀ . وعندما دخلت الكتّاب لأول مرة، أحس والدي أن دعاءه الحار، ورغبته الملحة في ولد يحفظ القرآن بدأت تتحقق، وأن عليه أن يساعدني ويشد من أزري، لتحقيق هذه الرغبة الغالية. إن تشجيع الوالدين في هذه الفترة من عمر الطفل لازمة ومهمة، ولقد منّ الله علي بوالدين يدركان هذا الواجب، ويريدان بكل الجهد أن أكون حافظاً لكتاب الله تعالى. أما داخل الكتّاب، فقد كان التشجيع يواكب مثابرتي واجتهادي، وكنت أجد من شيخي المرحوم علي مصطفى بن شتوان وهو من أبناء مصراتة المهاجرين، ومن الأشراف المنتسبين إلى الدوحة النبوية كل التشجيع والتقدير» [5].

حفظ الشيخ القرآن من الشَّقَّة الأولى، وكتبه مرتين، إذ يقول «فقد كنت أواصل دراستي بالكتّاب بعد أن حفظت القرآن كله على الشَّقَّة الأولى، كما يقولون، وكتبته مرتين كاملتين، وفي المرة الثالثة وصلت سورة النحل، وعندها توقفت نهائياً، حيث اعتزم شيخي العودة إلى مصراتة، واستلمت الكتّاب بصورة نهائية، بعد أن أتقنت الحفظ والرسم، وشهد شيخي بذلك» [6].

مـواصلـة الـدراســة لتعلم العلم الشرعي.

لم يكتف الشيخ مصطفى ﵀ بحفظه للقرآن والتوقف عنده، بل واصل دراسته ليتعلم العلم الشرعي، يقول شيخنا: «لم أتوقف عن طلب العلم، فقد تهيأت لي فرصة أخذ دروس في اللغة والفقه والتوحيد، كما حفظت بعض المتون على يد الشيخ المرحوم محمد بن عون، وهو من تاورغاء[7] ،وأحد العلماء الليبيين المهاجرين إلى القطر التونسي وكان له دور في تعليم أبناء المهاجرين الليبيين وغيرهم، وكان هذا الشيخ الوقور أول من فتّح ذهني ووجّهني إلى حفظ المتون، ودراسة علوم اللغة الفقه والتوحيد، وهي العلوم الأساسية، والتي لا غنى عنها للإنسان المسلم، وقد

(1) جمع كتاتيبُ: مكان صغير لتعليم الصّبيان القراءةَ والكتابةَ، وتحفيظهم القرآن. ينظر: معجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون 2/ 775، باب الكاف، مادة كتب.

(2) الشَّقَّة: هذه الكلمة درجت عند طلبة القرآن في الكتاتيب؛ لأن حفظ القرآن من المرة الأولى (الختمة الأولى) فيه صعوبة مشقة لذلك يسمى الحفظ من الشقة الأولى، ومعناها في اللغة: شقّ عَلَيْهِ الْأَمر يشق شقاً، ومشقة، إِذا صَعب عَلَيْهِ وَثقل، وشق عَلَيْهِ إذا أوقعه فِي الْمَشَقَّة. ينظر: تاج العروس، الزبيدي. 25/ 511. مادة شقّ.

(3) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 139.

(4) لم أهتد إلى ترجمة مشائخ الشيخ "مصطفى ﵀"، بحثتُ في كتب التراجم الليبية وغيرها، فلم أهتد إلى ترجمتهم. (من ليبيا: علي بن شتوان_ عبد الجواد البنغازي_ محمد بن عون/ من تونس: محمد بن ساسي عبد الواحد المرغني_ إبراهيم المرغني_ مصطفى الحمامي القيرواني_ علي التركي_ عثمان العيادي).

(5) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 140.

(6) المصدر نفسه. 2/ 141.

(7) تاورغاء: مدينة ليبية تقع شمالا، تبعد عن مصراتة أربعين كيلو مترا، سكانها خليط من أصول عربية وبربرية، وهم سمر البشرة، وهم مشهورون بالشجاعة. ينظر: معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي. ص79.

أهلتني هذه الدراسة الأولية للالتحاق عام 1951 م بفرع الزيتونة[1] بمدينة قفصة، ثم إلى فرع القيروان[2]. وكان لجامع الزيتونة في ذلك الوقت، العديد من الفروع في كامل التراب التونسي، وعندما أكملت دراستي بفرع القيروان، التحقت بالجامع الأعظم، جامع الزيتونة نفسه، بمدينة تونس» [3].

بعدها التحق الشيخ ﵀، لدراسة علم القراءات، ونجح فيه نجاحا مميزا، مما كانت له جهود في نشر هذا العلم سأتحدث عنها، لاحقا إن شاء الله.

نال الشيخ مصطفى﵀ شهادة "التحصيل العلمي"، وعاد إلى أرض الوطن.

في سنة 1958م تحصّل الشيخ ﵀ على شهادة التحصيل العلمي من جامع الزيتونة، وهي نهاية المرحلة الثانوية في منهج الزيتونة، يقول شيخنا: «كان حصولي على شهادة التحصيل العلمي من الزيتونة خلال شهر يوليو 1958م...، وكان لزاما عليّ أن أنتظر حتى شهر أكتوبر 1958م؛ لأدخل في امتحان التخصص في علوم القراءات، وكان هذا موعده. في شهر أكتوبر دخلت الامتحان وبتوفيق الله نجحت، وفور الإعلان عن النتيجة بادرت بالرجوع إلى الوطن، ولم أنتظر حتى استلام شهادتي، وكان وصولي إلى مدينة طرابلس[4] أول من نوفمبر 1959م»[5] ، وعند استلام الشيخ الشهادة سنة 1960م، التحق مباشرة بمجال التدريس، فكانت له جهود كبيرة وهذا صلب بحثنا_ سأتحدث عن تفاصيلها لاحقا_ فدرّس في مدينة بنغازي[6]، والبيضاء[7]، وآخرها مدينة طرابلس، إلى جانب الأعمال الأخرى، كرئاسة لجنة التحكيم في المسابقات القرآنية لمدة تزيد عن ثلاثة عقود، وعضو باللجنة الدائمة لمراجعة وإعداد المصاحف، ومتعاون مع إذاعة القرآن الكريم في مراجعة ومراقبة التلاوات القرآنية، ومع جمعية الدعوة الإسلامية[8] .

وفـــاتـــه.

توفي الشيخ ﵀ بعد معاناته من المرض، يوم الجمعة في الرابع من شهر محرم 1440ه، الموافق الرابع عشر من سبتمبر 2018م، ودفن بمقبرة أولاد موسى بجنزور[9] .

ثناء العلماء عليه.

أثنى مفتي الديار الليبية الشيخ الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، على الشيخ مصطفى ﵀، فقال: « الشيخ مصطفى قشقش _رحمه الله_، كان علما من أعلام ليبيا في علم القرآن، وعلم القراءات، وكان عالما ومتمكنا، وله قدرة كبيرة في علم القراءات، تخرّج على يديه عدد كبير من الحفاظ والقرّاء، وكان معروفا بالحزم والصرامة والتدقيق في العلم، ولا يتساهل فيه، كان حريصا دائما على الصواب»[10] .

---

(1) جامع الزيتونة: أول جامعة في العالم الإسلامي، وهو جامعة وجامع بمدينة تونس. يعد ثاني الجوامع التي بنيت في "أفريقية" بعد جامع عقبة بن نافع في القيروان. يرجّح المؤرخون أن من أمر ببنائه حسان بن النعمان، عام 79هـ، وقام عبيد الله بن الحباب بإتمام عمارته في 116 هـ736م، بدأ في نشر تعاليم الإسلام وكان له دور ضخم في تفسير القرآن. وتعد جامعة الزيتونة، أول جامعة أسست مدرسة فكرية في إفريقية، وكان مؤسسو تلك المدرسة التي كانت تدعى مدرسة: علي بن زياد، وأسد بن الفرات، والإمام سحنون صاحب المدوّنة، التي رتبت المذهب المالكي وأسّسته. ولا زال الجامع والجامعة ينشر تعاليمه وثقافته حتى الآن. ينظر: الموسوعة التاريخية، عَلوي بن عبد القادر السقاف وآخرون. 1/ 304.

(2) القيروان: مدينة تونسية، تبعد حوالي 160 كيلومترا عن تونس العاصمة، المعروفة بعاصمة الأغالبة، وهي أول المدن الإسلامية المشيدة في بلاد المغرب، وكان لها دور استراتيجي في الفتح الإسلامي، انطلقت منها حملات الفتح نحو الجزائر والمغرب وإسبانيا وأفريقيا. يعود تاريخ القيروان إلى عام 50 هـ / 670 م، عندما قام بإنشائها عقبة بن نافع. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي. 4/ 420.

(3) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 141.

(4) طرابلس: عاصمة ليبيا، تقع في الشمال الغربي، تسمى طرابلس،أيضا باسم طرابلس الغرب لتمييزها عن طرابلس الشام الواقعة شمال لبنان، كلمة طرابلس ينطق بها الطرابلسيون طرابُلس. طرابُلس- أطرابُلس بهمزة قبل الطاء، وبضم الباء واللام وهذا هو الاسم العربي الصحيح الذي سمّيت به منذ 22هـ. ينظر: معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي. ص 23_ 24.

(5) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 143.

(6) بنغازي: مدينة تقع في شمال شرق ليبيا، على ساحل البحر المتوسط، وهي ثاني أكبر مدينة ليبية، تمتعت المدينة، في عهد الملكية، بمكانة عاصمة للبلاد، إلى جانب طرابلس الغرب، حيث كانت العائلة السنوسية المالكة معتادة على الإقامة في مدينة البيضاء، القريبة منها. ينظر: معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي. ص 63.

(7) مدينة البيضاء: تعد ثاني كبرى مدن المنطقة الشرقية، وأهمها بعد بنغازي، وفي عهد المملكة الليبية كانت مقرًا للبرلمان الليبي وعدد من الوزارات ورئاسة الوزراء، تسمى كذلك بمدينة الثلوج نظرًا لتساقط الثلوج عليها شتاءً. ينظر: المصدر نفسه. ص73.

(8) هذه الجهود تناولتها في الدراسة السابقة.

(9) جنزور: مدينة ساحلية، تقع غرب ليبيا، غربي العاصمة طرابلس، وبهذا تعتبر بوابة طرابلس الغربية، تبعد حوالي 12 كيلومترا غرب العاصمة الليبية طرابلس، يمتد طول ساحلها حوالي 15 كيلومترا، وتتمتع بأشجار النخيل والزيتون، وبمناخ ساحلي مطل علي البحر الأبيض المتوسط. (شبكة المعلومات الدولية. النت).

(10) استقيت هذا "الثناء" من موقع مؤسسة التناصح للدعوة والثقافة والإعلام " النت" .

المطلب الثاني_ جهود الشيخ "مصطفى" في تحفيظ القرآن، إدارة وتدريسا.

خير الناس من عاش مع القرآن، متعلّما ومعلّما، كما روى عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1]. ومعنى هذا، أن خير الناس من أقبل على تعلّم القرآن، حفظا وتلاوة وتدبرا، وعلّمه لغيره حفظا وتلاوة وتدبرا، وهذه الخيرية مطلقة؛ لأنها تتعلق بكلام الله، وخير الكلام كلام الله، والجامع بين تعلُّم القرآن وتعليمه مُكمِّل لنفسه ولغيره، يقول القرطبي _ رحمه الله_: «قال العلماء: تعليم القرآن أفضل الأعمال؛ لأن فيه إعانةً على الدِّين فهو كتلقين الكافر الشَّهادةَ لِيُسْلِمَ»[2] .

فهذه الخيرية يستحقها شيخنا مصطفى _ رحمه الله_ ، ولا نزكّيه على الله، فقد تولى تدريس القرآن طوال حياته، فهو يحفّظ كتاب الله منذ أن كان طالبا، وهو يحفّظ كتاب الله، يقول الشيخ ∂: «أما داخل الكتّاب، فقد كان التشجيع يواكب مثابرتي واجتهادي .. وكنت أجد من شيخي المرحوم علي مصطفى بن شتوان، وهو من أبناء مصراتة المهاجرين ومن الأشراف المنتسبين إلى الدوحة النبوية كل التشجيع والتقدير .. الأمر الذي مكنني من أخذ مكان شيخي بن شتوان، في تحفيظ وإملاء القرآن لطلاب الكتّاب، وذلك عندما تدعوه الضرورة ، من مرض أو سفر، إلى التخلف عن الكتّاب .. ثم عندما عاد إلى بلده مصراتة، في النصف الأخير من أربعينات هذا القرن_ القرن الماضي_.- ..حيث اعتزم شيخي العودة إلى مصراتة، واستلمت الكتّاب بصورة نهائية، بعد أن أتقنت الحفظ والرسم، وشهد شيخي بذلك»[3] .

مدرّسا للغة العربية والقراءات.

التحق الشيخ بالتعليم الزيتوني، فدرس في معهد قفصة، ومعهد القيروان، ونال منه شهادة التحصيل العلمي " تخصص علم القراءات"، ودخل بها وظيفة التدريس، عند رجوعه لبلده "ليبيا"، يقول الشيخ: «أول وظيفة شغلتها وظيفة مدرس للغة العربية والدين، بمدرسة البركة الابتدائية، بمدينة بنغازي، وكان ذلك بتاريخ 1/1/ 1959م، ولم يكن في حوزتي آنذاك، أي شهادة، وعندما عدت إلى تونس، سنة 1960م، وجئت بشهادتي للمسئولين بالجامعة الإسلامية عيّنت على الفور مدرّسا للقراءات، بمعهد القراءات، الذي كان قد أنشئ بمدينة البيضاء»[4] .

توليه مديرا لإدارة المدارس القرآنية.

وفي عام 1961م، تولى الشيخ إدارة المدارس القرآنية، فشهدت نهضة قرآنية كبيرة، يقول شيخنا: «وفي العام التالي، أسندت إليّ لجان التدريس مهمة إدارة المعهد نفسه.. وفي أواخر 1962 عيّنت مديراً لإدارة المدارس القرآنية...شهدت المدارس القرآنية تطوراً ملحوظاً، فقد كانت في عام 1962م ما بين 40 و50مدرسة.. ثم زاد العدد بالتدريج، حتى بلغت أكثر من أربعمائة مدرسة قرآنية، موزعة على مختلف المناطق السكنية بالبلاد» [5].

فبتوفيق من الله للشيخ مصطفى ∂شهدت بلادنا نهضة قرآنية كبيرة، يشهد لها القاصي والداني إلى يومنا هذا ولكن للأسف، لأسباب سياسية جاء الأمر بإلغائها، يقول شيخنا: «بعد هذا التاريخ _ 1986_ أدمج طلاب هذه المدارس _القرآنية_ في المدارس الابتدائية، ولم يعُد للقرآن مدارس خاصة، ولا إدارة خاصة، وأضحى تدريس القرآن الكريم بالمساجد، وتوالت عليه جهات، ثم آل أمره إلى الهيئة العامة للأوقاف» [6] ، اعتزل الشيخ بعدها الإدارة القرآنية واتجه إلى تعليم القرآن وعلومه.

تدريس القرآن وعلومه في مساجد طرابلس.

رغم هذه الظروف_ إلغاء المدارس القرآنية_، اعتزل الشيخ الإدارة، وتوجّه إلى تدريس القرآن، فانتقل إلى طرابلس للإقامة فيها، ودرّس بمساجدها، فكانت له ثلاث محاولات لتأسيس الكتّاب، فشلت المحاولة الأولى والثانية، ونجحت الثالثة، أما الأولى والثانية فكانت في أحد أحياء مدينة طرابلس "بن عاشور" بمسجد عمورة، حيث إقامته الأولى فلم تدم ثلاثة أشهر، ثم انقطع الطلاب عن الكتّاب، ونجحت المحاولة الثالثة، التي كانت بمسجد عبد الله بن عمر بمنطقة قرقارش "السياحية"، حيث أسّس كتّابا، سمّاه أبو عمرو الداني[7]. واستمر فيه إلى آخر حياته، فكان هذا الكتّاب قبلة لطلاب القرآن وطلبة العلم، ولم يتوقف الشيخ عن التدريس فيه إلا بعد مرضه، في السنتين الأخيرتين من عمره.

تأسيس كتّاب مسجد عبد الله بن عمر، وعوامل نجاحه.

عوامل النجاح لكتّاب أبي عمرو الداني، كما أفادني بها أحد الطلاب، مرجعها إلى الرغبة الصادقة، والإلحاح الشديد من بعض سكان الحي، حيث زار بعض منهم الشيخ عدّة مرات، عند مصلاه "المحراب" حيث يمكث بعد الانتهاء من كل صلاة فترة وجيزة، فطلبوا منه فتح الكتّاب، استشعر الشيخ ∂ الرغبة الصادقة منهم، فوافق على فتح الكتّاب، وكان ذلك يوم20/ 6/ 1986م وصار المسجد قبلة لطلبة العلم والقرآن، يأتونه من كل فج عميق [8].

---

(1) أخرجه أبو داود، أبواب فضائل القرآن، باب في ثواب قراءة القرآن، 2/ 583. ح 1452.
(2) التذكار في أفضل الأذكار من القرآن الكريم، أبو عبد الله القرطبي. ص 111.
(3) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 140.
(4) المصدر نفسه، 2/ 143.
(5) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 143_ 144.
(6) المصدر نفسه. 2/ 144.
(7) نقلت هذا مشافهة من: ابن الشيخ " معاذ قشقش" يوم الجمعة 30 ذو الحجة / 1443ه، الموافق 29 / 7/ 2022م، بمسجد عبد الله بن عمر بعد صلاة المغرب.
(8) نقلت هذا مشافهة من: محمد الشاوش أحد طلاب الشيخ وجاره، يوم الجمعة 30 ذو الحجة / 1443ه، الموافق 29 / 7 /

يقول شيخنا متحدثا عن بداية تأسيس هذا الكتّاب (أبو عمرو الداني) وإقبال الطلاب عليه: «وبالتحديد بعد الغارة الأمريكية الغاشمة على مدينـي طرابلس وبنغازي_ 1986م _ إنني أحفّظ القرآن الكريم بهذا الكتّاب، وأدرّس بعض علومه منذ ذلك الوقت، لأكثر من مائتين وخمسين طالباً من مختلف الأعمار_ تتوزع ما بين ذكورا وإناثا_ وقد أتمّ عدد لا بأس به من الطلاب حفظ القرآن، حفظاً جيداً وكاملاً، من مختلف شرائح المجتمع صغاراً وكباراً» [1].

إدارة الحقلة في كتّاب أبي عمرو الداني.

درستُ على الشيخ نصف القرآن، وعدد الطلاب يزيد عن مائة وثلاثين طالبا، فكيف يا ترى يدير الشيخ حلقة القرآن بهذا العدد؟

بالنسبة لإدارة حلقة القرآن بهذا العدد الكبير، فمن الحكمة والتوفيق لدى شيخنا، أنه كان يقسّم الطلاب إلى مجموعات وكل مجموعة في سورة ومَلّة واحدة، يقرأ الشيخ الآية، فيرد الطلاب _ وهم مجموعة واحدة في نفس السورة ونفس الآية "الملة"_ قراءة جماعية، ثم يبادرون بكتابتها على اللوح، وهكذا المجموعة التي تليها، وكان عدد المجموعات ست مجموعات، وعدد الطلاب لكل مجموعة ما بين عشرين إلى خمس وعشرين طالبا. وهذا التقسيم يعد خصوصية يمتاز بها كتّاب مسجد عبد الله بن عمر عن غيره من الكتاتيب؛ لأن المعهود في الكتاتيب القرآنية هو أن الملّة ينفرد بها كل طالب لوحده، وتختلف عن غيره[2] .

ولعل الحكمة من هذا، هو أن يستوعب الشيخ العدد الأكبر من الطلاب، وتعم الفائدة، ولا يحرم أحدا لديه الرغبة في حفظ القرآن، يقول شيخنا: «إني أحفّظ القرآن الكريم بهذا الكتّاب _ كتّاب مسجد عبد الله بن عمر_ وأدرّس بعض علومه، منذ ذلك الوقت...لأكثر من مائتين وخمسين طالباً من مختلف الأعمار_ تتوزع ما بين ذكورا وإناثا_ وقد أتمّ عدد لا بأس به من الطلاب حفظ القرآن حفظاً جيداً وكاملاً، من مختلف شرائح المجتمع، صغاراً وكباراً ومن لم يتيسّر له الحفظ الكامل، حفظ البعض من أجزائه، أو تعلم على الأقل، كيف يقرأ القرآن قراءة صحيحة وسليمة من المصحف الشريف؟»[3].

طريقة الشيخ في التدريس والتحفيظ.

قراءة القرآن وحفظه لا تتحقق إلا بالتلقّي عن الشيوخ المشهود لهم بالضبط والإتقان، ويُعرف عنهم ذلك بالإجازة أو الاشتهار. وطريقة التلقّي عن الشيوخ تكون بالسماع منهم، أو القراءة عليهم مباشرة وهم يستمعون، فما أخطأ فيه القارئ صحّحوه له، فهو عِلْم لا يؤخذ من الكتب، بل يحتاج للقراءة على من أتقن التلاوة، كي يصحّح لك النطق بالقراءة، والدليل على ذلك ما أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بالتلقّي من جبريل عن طريق السماع فقال له: **سمم فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ سمم** [4] .يـعـني استـمع إلى قـراءتـه، وقـال صلى الله عليه وسلم: «خُـذُوا الـقُرْآنَ مِـنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - فَبَدَأَ بِهِ -، وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ» [5] .

فهذا هو الأصل في قراءة القرآن الكريم، أو حفظه، فقد أخذ الصحابة القرآن عن الرسول كما علّمه سيدنا جبريل ونقل إلينا القرآن بأحكامه، هكذا بالتواتر، يقول السيوطي: «وأما القراءة على الشيخ: فهي المستعملة، سلفاً وخلفاً» [6] وقال أيضاً: «ومما يدل للقراءة على الشيخ، عرض النبي ^ على جبريل في رمضان كل عام [7] » [8] .

فما يراه الشيخ _رحمه الله _ويؤكّده، أن الطريقة المثالية في تدريس القرآن وتحفيظه، تعتمد على ثلاثة أمور: التلقي

2022م. بمسجد عبد الله بن عمر بعد صلاة المغرب.

(1) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2 / 144.

(2) يمتاز مجلس الإملاء" القرآن" كون الطلبة يجلسون حلقة حول الشيخ، يكون الشيخ قطبها، يعلوهم على أريكة (تتسع للجلوس والاتكاء)، يبدأ الشيخ بتلقين الطالب القرآن، آية أو جزءا منها، بطريقة المشافهة من الشيخ، وفي الغالب يعتمد فيها الوقف على المتحرك؛ لتنبيه الطالب على حركة الحرف الأخير.ثم يعيد الطالب على مسامع الشيخ ما سمعه منه قبل الشروع في الكتابة حتى إذا اطمئن الشيخ لنطق الطالب، أردفه بذكر ما يتعلق بها من حيث الرسم مثلاً، ألفها محذوف أو ثابت أو مخصص على رسم الداني، أو ياء معقوصة أو مرجّعة أو همزة مسهلة أو مبدلة بواو أو ياء، أو غيرها، ثم يشرع الطالب في كتابتها على اللوح حتى إذا انتهى وعاد الدور له في الحلقة، سمّع للشيخ الآية السابقة بنطق صحيح، فإذا اختل النطق هنا، فبعض المشايخ يعنّفون الطالب على ذلك، ثم يقرؤه الآية التي تليها، فالكتابة والتلقين أمران متلازمان في هذا المجلس.

(3) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2 / 144.

(4) القيامة:18.

(5) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار. باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه. 5: 36. ح 3808.

(6) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي. 1/ 343.

(7) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: « كان النبي ^ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فرسول الله ^ حين يلقاه جبريل، أجود بالخير من الريح المرسلة» أخرجه النسائي، كتاب فضائل القرآن، باب عرض جبريل القرآن. 5/ 7. ح 7993.

(8) الإتقان في علوم القرآن. السيوطي. 1/ 344.

والمشافهة والكتابة، أما التلقي والمشافهة تكونا على يد شيخ متقن، يقول شيخنا مستشهدا بالكتاب والسنة: «الطريقة المثلى لحفظ القرآن الكريم، بأن يتلقى من ملقّن يجيد حفظ القرآن الكريم، وهي الطريقة التي جاء بها القرآن الكريم نفسه، فقد جاء في سورة القيامة قوله تعالى: **سممفَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥسمم**[1]
وكان الخطاب موجهاً إلى الرسول ﷺ، وبهذا التوجيه يتبين أن القرآن إنما يؤخذ بالتلقي والمشافهة، ولو كانت هناك طريقة أخرى أمثل من هذا التلقي، لجاء بها القرآن وحث عليها، وما دام الرسول ﷺ، وهو من هو في الذكاء والفطنة والاستيعاب، يتلقى القرآن الكريم عن طريق ملقّن، وهو أمين الوحي، سيدنا جبريل عليه السلام[2]... فأحرى بغيره أن يكون هذا المنهج المثالي، لتلقي القرآن وحفظه.. ومن هنا قال العلماء: إن من خاصية هذا الكتاب سهولة حفظه، وأنه يتلقي مشافهة من حافظ قد تلقاه عن غيره وأحسن أداءه، وما نشاهده يؤيد هذا القول، إذ كثيراً ممن لم يتلقوه من معلم حافظ، لا يحسنون النطق الصحيح به، ولو بلغوا درجة عالية في التعليم»[3].
أما الكتابة فكانت على اللوح بالحبر (الصمغ) والقصبة[4] ويمنع الطالب من اصطحاب المصحف، أو الكتابة منه والغاية من ذلك هي تعلّم الرسم القرآني، لما له من خصوصية حيث أنه يختلف عن الرسم الإملائي. وهذا هو المعهود في الكتاتيب الليبية.
إذن يجتمع التلقين والمشافهة والكتابة في كتّاب أبي عمرو الداني، كما سمّاه الشيخ " مصطفى ɘ، وفي مجلس واحد، وهو مجلس الإملاء، أو الملّة، وهو أشبه بالمجلس الحديثي المعروف عند علماء الحديث[5].
فوجود معلم حافظًا لكتاب الله، متقن لتلاوته، يعلّم القرآن لطلابه، مسألة في غاية الأهمية، ولعل هذا ما يريد أن يشير إليه الشيخ مصطفى _رحمه الله_.

التركيز على أحكام التجويد ومخارج الحروف.

القرآن الكريم نزل على رسول الله ^ مرتلا، قال الله تعالى: **سممكَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًاسمم**[6] وقد أمرنا الله عز وجل بترتيله، فقال تعالى مخاطبا نبيه ^: **سممۥوَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًاسمم**[7] .وحث النبي ^ على الترتيل، فقال: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[8] ، وقد أعدّ الله لقارئ القرآن من الأجر

(1) القيامة الآيتان: 18_ 19.
(2) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: أَسَرَّ إِلَيَّ النبي صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي». فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَوْ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ» فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ» صحيح البخاري، كتاب المناقب. باب علامات النبوة في الإسلام. 4/ 203 .ح 3624. يقول ابن حجر العسقلاني عند شرحه لهذا الحديث: « العرض وهو بفتح العين وسكون الراء أي يقرأ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه... والمعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلا منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع » فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني.9/ 43.
(3) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس . 145/2.
(4) تعتبر طريقة تحفيظ كتاب الله بالألواح من أشهر الطرق المتبعة في ليبيا، وتخرّج على طريقها عدد كبير من حفظة القرآن الكريم ومن الأدوات المستخدمة في التحفيظ بهذه الطريقة، والتي سميت باسمه اللوح على اعتبار أنّه أهم الوسائل المستخدمة وهو عبارة عن قطعة من الخشب، تصنع من شجر الأرز أو البلوط أو الزيتون أوغيرها من أنواع الأشجار المتوفرة في المنطقة وهذا اللوح عادة ما يقصّ على شكل مربع أو مستطيل، وتصنع فيه لوحة بارزة، أعلاها حتى يتسنى للطالب مسكه وحمله بكلّ سهولة أو يقوم بثقبه في أعلاه عند منتصفه ليدخل منه خيطا، حتى يستطيع الطالب، أيضا الإمساك به وتعليقه على الحائط عند الانتهاء من الحفظ في كلّ يوم دراسي . واللوح عادة ما يصقل ويلمّع قبل الشروع في الكتابة، حتى تسهل عملية الكتابة عليه بالقلم، ويغسل الطالب وجهي اللوح بالماء والطين «المحي»، ويتركه يجفّ (هذه العملية تسمى في الكتّاب المحي)وبعدها يحك الطالب اللوح للتخلص من الطين ثمّ يسطّره بمؤخرة القلم، حتى لا يتعرج في الكتابة، وكلّ يوم يمحو الطالب الجهة التي حفظها، استعدادا للكتابة فيها في اليوم التالي، ويترك الجهة الأخرى بكتابتها حتى يتم حفظها. أما الوسيلة الثانية المعتمدة في طريقة حفظ كتاب الله بالألواح فهي القلم الذي يمثّل قطعة خشبية تصنع من القصب، أما الحبر فيصنع من صوف الغنم، وتسمى الدواية، إذ يحرق ثم يصب عليه بعض الماء، ويسمى بالاسم المحلي «الصمغ» أو «السمق»، ويوضع ذلك المداد في قارورة صغيرة.
(5) من أوجه عناية العلماء بالسنة النبوية المطهرة، عقد مجالس للإملاء، وذلك لضبطها في الكتب، كان المحدثون قديماً يتخذون مستملياً في مجالسهم العلمية، والمستملي: هو من يقوم بتبليغ كلام الشيخ للطلاب إذا كان المجلس كبيراً، والطلاب كُثُر. يقول السيوطي ɘ : «يستحب للمحدث العارف عقد مجلس لإملاء الحديث،فإنه أعلى مراتب الرواية، ويتخذ مستمليا محصّلا متيقظا يبلغ عنه إذا كثر الجمع على عادة الحفاظ، ويستملي مرتفعا، وإلا قائما، وعليه تبليغ لفظه على وجهه. وفائدة المستملي تفهيم السامع على بعد، وأما من لم يسمع إلا المبلغ، فلا يجوز له روايته عن المملي، إلا أن يبين الحال...ويستنصت المستملي الناس بعد قراءة قارئ حسن الصوت شيئا من القرآن، ثم يبسمل ويحمد الله تعالى، ويصلي على رسول الله^ ويتحرى الأبلغ فيه، ثم يقول للمحدث من أو ما ذكرت رحمك الله؟ أو رضي عنك وما أشبهه، وكلما ذكر النبي صلى عليه وسلم، وكان بعض السلف يتخذ أكثر من مستمل، إذا كثر الطلاب في المجلس». ينظر: تدريب الراوي، للسيوطي. 2/ 132_133_ 134.
(6) الفرقان، من الآية: 32.
(7) المزمل، من الآية: 4.
(8) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، 553/1، ح 252.

والثواب ما تقر به عينه، وينشرح به صدره، كما أخبر بذلك رسول الله ^، فقال: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق؛ له أجران»[1] .

ولكي ينال المسلم الأجر كاملا، ويحظى بالثواب وافيًا، عليه أن يقرأه بالصفة التي أمر الله بها رسوله ^ والتي لا تتحقق إلا بمراعاة أصول القراءة، والمحافظة على أحكام التلاوة، المستمدة من قراءة الرسول ^، والتي نقلت إلينا بالتواتر؛ ولذلك فإن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، كذلك هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالنبي ^ سندا متواترا. يقول السيوطي_ رحمه الله: «ولا شك أن الأمة كما هم متعبّدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، هم متعبّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة الْمُتَلَقَّاةِ عن أئمة القراء، المتصلة بالحضرة النبوية» [2] .

وإن من أشد الناس حاجة إلى معرفة القرآن وعلومه وتطبيق أحكام تجويده، دون إفراط ولا تفريط، هو من يستعد أو يُعد لحمل أمانة التدريس، وتعليم أبناء المسلمين وتربية الأجيال، فهذه أشرف مهمة وأعظم أمانة وهي مهمة الأنبياء ومن سار على نهجهم.

لذلك كان الشيخ _رحمه الله_ حريصا على طالب القرآن لا بد له أن يتعلم أحكام التجويد، إذ يقول: «القراءة الواجبة للقرآن الكريم، هي التي جاء بها القرآن وهي الترتيل ومعني الترتيل: جودة النطق بالحرف ومعرفة مخارجها وصفاتها وتمكين كل حرف من حقه ومستحقه، سواء في الحرف ذاته، أم في الحرف مع ما يجاوره من الحروف الأخرى أم في الكلمة مع ما يجاورها من الكلمات. فإذا تمكن القارئ من الأخذ بهذه الكيفية، فإنه يكون تالياً للقرآن الكريم تلاوة جيدة وصحيحة، مع مراعاة الوقف والابتداء، وملاحظة المعاني وعدم تخليطها. أما ما يقرأ به قراء اليوم من تنوع في الطبوع والمقامات والتفنن، فإن كان ذلك مطابقاً لما تقتضيه أصول القراءة الصحيحة فلا بأس بذلك؛ لأن جمال الصوت وتحبير القراءة والتفنن فيها، يزيد الآيات وضوحاً، وكلام الله هيبة وتأثيراً.. ويشد السامع إلى المتابعة والتدبر، سيما إذا كان القارئ ممن يعظم القرآن الكريم ويلتزم نهجه. لقد استمع الرسول ﷺ إلى قراءة سيدنا أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل. لقد سمعتك ليلة البارحة وأنت تتلو كتاب الله.. لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل

داوود فقال للرسول ﷺ: لو كنت أعلم أنك تستمع إليّ لحبرته له تحبيرا. لقد أقره الرسول ﷺ على هذا القول، ولم ينكر عليه.. فدل ذلك على جواز التفنن في القراءة والتحسين، ما دام ذلك وفق أصول التلاوة الصحيحة»[3] .

الحرص والشدة والحزم في التدريس.

لا أعنى هنا بالشدة والحزم الضرب بالعصا أو بغيرها، ولكن أعني هنا الشدة والعقوبة المعنوية أي بالكلام، فمثلا في مسألة غياب الطالب، فالشيخ _رحمه الله _لا يتغيّب عن الكتّاب إلا لضرورة، إذ يقول: «هذا العمل_ تدريس القرآن وتحفيظه_ يأخذ مني الكثير من وقتي واهتمامي، فأنا حريص على ألا أتخلف عن طلابي إلا لعذر قاهر»[4].

وبالتالي لا يتهاون عند غياب الطالب على الكتّاب إلا لعذر قاهر، فكان يعاقبه على غيابه عقابا معنويا، وهو أشد عقوبة من الضرب. وإلى جانب ذلك لا يتهاون مع الطالب عندما يجده سهوا أو غفلة، لا يحترم المصحف

بأن يضعه على الأرض، أو يجلس متكأ أمام اللوح، فكان يعاتبه، وفي نفس الوقت يقدم له النصح والتوجيه وسأتناول هذه النصائح والتوجيهات لاحقا، إن شاء الله.

الجد والاجتهاد والصبر على التدريس.

للاجتهاد أهمية عظيمة في الدين؛ فهو بمنزلة الإرث للنبي ^؛ فالعلم هو ميراث الأنبياء، والاجتهاد فيه تحصيل لذلك الإرث، وكلما كان المجتهِد أكملَ وأرسخ في العلم، كان أكثر أخذًا لميراث النبوة، والصبر من الأخلاق العظيمة التي مَنْ تحلَّى بها نال العلا، ومعلِّم القرآن يحتاج إلى ذلك في رسالته العظيمة، قال تعالى: **سمم وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَسمم** [5]، وقال النَّبي ^:«وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» [6] .

فالشيخ _رحمه الله_ كان مجدا ومجتهدا وصبورا في تدريس وتحفيظ القرآن، إذ يقول: «لقد أمضيت ما يقرب من خمس وخمسين سنة، وعمري الآن ثمان وستون سنة، ومنذ أن كان عمري أربع عشرة سنة وأنا أزاول واجبي في تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين، ولم أنقطع عن هذا الواجب .. حتى عندما كنت طالباً للعلم بالزيتونة كنت أقضي العطلات في تعليم القرآن ...ومنذ تخرجي والتحاقي بالوظيفة سنة 1959، وحتى يومنا هذا، لم أنقطع عن تعليم القرآن وتحفيظه للراغبين ..وشعوري أني أقضي دينا في عنقي تجاه أبناء المسلمين .. وهو شعور جعلني أخلص لهذه المهنة، فلم أدخل عليها من الاهتمامات الأخرى ما ينقص من نشاطي أو يفسد من تفرغي لأدائها ..

(1) أخرجه ابن ماجه، أبواب الأدب، باب ثواب القرآن، 698/4. ح 3797.
(2) الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين السيوطي. 1/ 346.
(3) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 146.
(4) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 144.
(5) السجدة: 24.
(6) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة. باب فضل الوضوء، 1/ 203.ح 223.

ومازلت أذكر حرص والدي _رحمه الله_ على أن أكون حافظاً جيداً للقرآن الكريم، ومعلماً ناجحاً، يحفِّظ أبناء المسلمين كتاب الله وآياته البينات. إن حفظ القرآن الكريم سنة عظيمة وإحسان وتكريم من عند رب العالمين على من وفقه لحفظ كتابه والاهتداء بآياته وأحكامه، وتقدير هذه المئة والاعتراف بهذا الإحسان، يجعلني أبذل ما أستطيع من جهد وما أملك من قدرة في تعليم أبناء وطني وتحفيظهم القرآن الكريم وتعليم أحكامه وقراءاته»[1] .

واستمر الشيخ في تدريس القرآن بمسجد عبد الله بن عمر إلى آخر حياته. إلا في السنتين الأخيرتين، ابتلي بمرض منعه عن التدريس، فالشيخ رحمه الله كان نموذجا يقتدى به في الصبر والاجتهاد؛ لتعليم أبناء المسلمين وتوجيههم

تـــــلامـــــيـــــذه.

سألت أحد طلاب الشيخ البارزين والمقربين له، عن عدد الذين تتلمذوا على الشيخ، فأفادني بالآتي: «طلبة الشيخ كثر، وقد تفرقوا في العالم بأسره، بلغ عددهم أزيد عن أربعة لآلف طالبا، إذ أحصيت في أحد الأعوام تسعة مساجد في مدينة الزاوية[2]، أمّ الناس فيها في صلاة التراويح طلبة الشيخ مصطفى رحمه الله تعالى»[3] .

المطلب الثالث_ جهود الشيخ في نصح وتوجيه طلاب القرآن وإرشادهم.

النّصيحة خصّها الله بمكانةٍ عاليةٍ؛ فرتّب الشّرع عليها الأجر والثواب، وقد دلّت النّصوص الشرعية من الكتاب والسنّة على وجوب التناصح بين المسلمين والتعاون بينهم؛ فحثّت على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، قال تعالى: **سممكُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِسمم**[4] . بل هي واجبة ومن الأعمال الصالحة التي يُتقرب بها إلى الله عز وجل؛ لما روى مسلم عن تميم الداري، أن النبي ^، قال:«الدين النصيحة، قلنا: لمن؟قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[5] ويدخل في هذا، نصيحة المعلم لطلابه.

وعن عبد الله بن عمر، أن رسولَ الله ^ يقول: «ألا كلُّكم رَاعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعِيّتَه: فالأميرُ الذي على الناسِ راعٍ عليهم، وهو مسؤولٌ عنهم، والرجلُ راعٍ على أهلِ بيته وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأة راعية على بيت بَعلها وولده وهي مَسؤولَةٌ عنهم، والعَبدُ راعٍ على مالِ سيّده وهو مَسؤولٌ عنهُ؛ فكلكم راعٍ، وكلكم مَسؤول عن رعيته»[6] .

واستشعاراً بالمسئولية والنهوض بها على أكمل وجه، وضع الشيخ مصطفى _رحمه الله_ طلابه بصفة خاصة وطلبة وحفاظ القرآن بصفة عامة أمانة، فلم يبخل عنهم بالنصح والإرشاد والتوجيه؛ لأن المسؤولية يوم العرض الأكبر ثقيلة، والمحاسبة عسيرة، والهول عظيم؛ لذلك كانت للشيخ _رحمه الله_ هذه النصائح والتوجيهات:

1_ تعظيم كتاب الله عز وجل.

القرآنُ العظيم الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بين يدَيه ولا مِن خلفه، عظيمٌ عندَ الله، وهو في اللوحِ المحفوظ، قال تعالى: **سمم وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌسمم**[7]، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «بيَّن شرَفَه في الملأ الأعلَى، ليشرّفَه ويعظّمه ويطيعَه أهلُ الأرض»[8] .

إنَّ تعظيمَ كلامِ الله، تعظيمٌ لله، وإن من أرفع مقامات الأدب مع الله أن تعظِّم كلامه وتُجِلَّه وتُكرمه؛ لأن فضل كلام الله على كلام غيره، كفضله سبحانه على جميع خلقه، وعلى قدر عظمة القائل، يكون تعظيم الكلام **سمموَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًاسمم**[9] ، يقول النوويّ ɘ: «أجمع المسلِمون على وجوبِ تعظيمِ القرآنِ العزيزِ على الإطلاقِ وتنزيهِه وصِيانتِهْ، وقال القاضي عياض ɘ: من استخفَّ بالقرآن أو بالمصحَف أو بِشيءٍ منه فهو كافِرٌ بإجماعِ المسلِمين»[10] .فالشيخ _رحمه الله_ كان دائما حريصا على أن يذكّر طلابه وعامة الناس عند قراءة القرآن من المصحف أو اللوح، بتعظيم كتاب الله، ويكمن هذا في عدة توجيهات ونصائح:

أ_ ألا يوضع المصحف على الأرض.

مِن تعظيم كلام الله أن يُرفَعَ، فلا يوضَع فوق الأرض، لا سيما في الأرض التي ليسَت محتَرَمة، فإنَّ وضعَه في أرضٍ ليست محترمَةً، يدلّ على عَدمِ مُبالاة الواضِع به، يقول القرطبي_ رحمه الله_ في مسألة تعظيم القرآن الكريم رعاية لحرمته وقدسيته:

(1) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس.2/ 150.
(2) مدينة الزاوية: تقع في الساحل الغربي لليبيا، غرب العاصمة طرابلس بحوالي 48 كم، تطل على البحر المتوسط.، تعرف رسميا باسم: الزاوية الغربية لتميزيها عن الزاوية البيضاء(مدينة البيضاء)شرق ليبيا. ينظر معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي.ص156.
(3) أفادني بذلك الشيخ: أشرف المزوغي، أحد طلاب الشيخ المقربين البارزين، يوم 27 / رمضان / 1445ه، الموافق 7 / 4 / 2024م.
(4) آل عمران من الآية: 110.
(5) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة 74/1، ح 95.
(6) أخرجه أبو داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما يلزمُ الإمام من حق الرعية. 553/4. ح 2928.
(7) الزخرف: 4.
(8) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير. 200/7.
(9) النساء من الآية: 87.
(10) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا النووي. ص164.

«ومن حرمته، إذا وضع المصحف أن لا يتركه منشورًا، وألاّ يضع فوقه شيئًا من الكتب حتى يكون أبدًا، عاليًا لسائر الكتب، علمًا كان أو غيره، ومن حرمته، أن يضعه في حجره إذا قرأه، أو على شيء بين يديه، ولا يضعه على الأرض»[1] .
فالشيخ رحمه الله كان يغضب غضبا شديدا عندما يجد قارئ القرآن سواء كان طالب قرآن أو من عامة الناس واضعا المصحف على الأرض سهوا منه أو غفلة، بل ويعاقبه أحيانا.

ب_ عدم بل الأصابع بالريق لتقليب أوراق المصحف.

نص أهل العلم على تحريم بلّ الأصابع بالريق لتقليب أوراق المصحف بها، يقول الدسوقي: «أما بلُّ أصابعه بريقه بقصد قلب أوراقه: فهو وإن كان حراما، لكنه لا ينبغي أن يُتجاسر على القول بكفره وردته بذلك؛ لأنه لم يقصد بذلك، التحقير الذي هو موجب الكفر في مثل هذه الأمور»[2] . ونقل عليش في شرحه للمختصر المذكور عن البناني قوله: «وبَلّ أصبعه بريقه ووضعها على ورقه لتقليبه حرام وليس ردّة، لعدم قصده التحقير»[3] .
ويقول ابن العربي: «وقد اعتاد كثير من الناس، إذا أرادوا أن يقرؤوا في مصحف أو كتاب علم، يطرقون البزاق عليهم، ويلطخون صفحات الأوراق ليسهل قلبها! وهذه قذارة كريهة، وإهانة قبيحة ينبغي للمسلم أن يتركها ديانة ولقد رأيتُ بعض من يعتني بعدِّ ورقات المصحف، فيأخذ مع كل تحويلة بزقة ويدهن بها صفحة الورقة، ليسهل قلبها! فإنا لله على غلبة الجهل المؤدي إلى الكفر، والحمد لله على كل حال»[4] .
فكان شيخنا _رحمه الله_ دائما ينبّهنا وينصحنا على ذلك، تعظيما لكتاب الله، فينبغي توقي ما يلاحظ عند كثير من المسلمين اليوم من تقليب أوراق المصحف بالريق، خروجاً من خلاف العلماء، وتوقيراً لكتاب الله عز وجل.
قال الله تعالى: **سمم ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ سمم**[5] .

ج_ تناول المصحف باليد اليمنى.

حمل المصحف أو الجزء من القرآن باليد اليسرى، أو مسكه بها، عند القراءة أو غيرها إذا كانت نظيفة غير متنجسة، لا يعد حراماً؛ ولكن المستحب أن يكون ذلك باليمنى، حسب المستطاع، عن عائشة، قالت: «كان رسول الله ^ يحب التيمُّن في شأنه كله، في نعليه، وترجله، وطهوره»[6] ، يقول النووي في شرحه لهذا الحديث: «وهذه قاعدة مستمرة في الشرع، وهي أن ما كان من باب التكريم والتشريف، كلبس الثوب والسراويل والخف، ودخول المسجد، والسواك و الاكتحال، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، وترجيل الشعر، وهو مشطه... والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه»[7] ،ويقول المناوي نقلاً عن الغزالي: «والأعمال بعضها شريف كأخذ المصحف، وبعضها خسيس، كإزالة الخبث، فإذا أخذت المصحف باليسار، وأزلت الخبث ومسست الفرج باليمين فقد خصصت الشريف بالخسيس فنقصته حقه وظلمته، وعدلت عن العدل»[8] .
وعلى ما سبق، يفهم أن حمل المصحف أو أخذه ينبغي أن يكون باليمنى، وأن ذلك مستحب، فلو احتيج إلى اليسرى لا شيء في ذلك، وهذا ما كان يذكِّر به الشيخ " مصطفى "_رحمه الله_ طلابه.

د_ مدّ القدمين عند قراءة القرآن.

من آداب تلاوة القرآن الكريم أن يقرأ على أكمل هيئة وأحسن حالة، ولكن لم أجد من تعرض لمد الرجل عند ذكر آداب التلاوة، وقد ورد الأمر بذكر الله على جميع الهيئات، قال تعالى: **سمم فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡسمم**[9] ، وجاء مدح الذكر على جميع الهيئات في قوله تعالى: **سممٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡسمم**[10]، والقرآن الكريم سماه الله ذكرا، فقال تعالى: **سممإِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ سمم**[11] .
ولذلك، فلا حرج في تلاوته لمن يمدّ قدميه، لكن الشيخ _رحمه الله_ ؛ لشدة حرصه على تعظيم كتاب الله، كان يعاتب الطالب، أو حتى من عامة الناس إذا رآه مدّ قدميه وهو يتلو كتاب الله.

ه_ إهداء ترجمة القرآن لغير المسلم.

لا يجوز للمسلم أن يمس المصحف في حالة تلبسه بالجنابة، وهذا ما عليه جمهور أهل العلم، لقول الله تعالى:

(1) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي. 28/1.
(2) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد الدسوقي المالكي. 301/4.
(3) منح الجليل، شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد عليش. 206/9.
(4) عارضة الأحوذي، شرح سنن الترمذي، محمد بن عبد الله العربي.10 / 240، 241.
(5) الحج من الآية: 32.
(6) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب التيمن في الطهور وغيره. 226/1، ح 268.
(7) المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. 160/3.
(8) فيض القدير، شرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي. 311/6.
(9) النساء، من الآية: 103.
(10) آل عمران، من الآية: 190.
(11) الحجر: 9.

سمم إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَسمم [1]، فغيره_ أي الكافر_ أولى بالمنع، فلا يجوز إهداء المصحف لغير المسلم؛ لأنه نجس، بنص القرآن، قال تعالى: **سممۡيَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاسمم**[2] .

لذلك، يأثم المسلم في إعطائه المصحف الشريف للكافر، ولو بغرض تدبّره، أو لرجاء إسلامه، قال الباجي: «ولو أن أحداً من الكفار رغب أن يُرسل إليه بمصحف يتدبّره، لم يُرسل إليه به؛ لأنه نجس جنب ولا يجوز له مسّ المصحف، ولا يجوز لأحد أن يسلمه إليه»[3] .

هذا بالنسبة للمصحف، أما ترجمة معانيه، وتفسيره بلسان قوم آخرين، فجائزة، بل قد تكون واجبة؛ لبيان عظمة القرآن، وحجيته ومحاسن أحكامه، ولأداء واجب البلاغ لمن لا يحسن العربية، ويشترط لذلك أن تكون ممن فهم معنى الآيات فهماً صحيحاً، كي تستطيع التعبير عنها باللغة المترجمة إليها تعبيراً، دقيقاً يفيد المقصود من نصوص القرآن الكريم، يقول ابن تيمية _رحمه الله_: «وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم، فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة. كمخاطبة العجم: من الروم والفرس والترك، بلغتهم وعرفهم فإن هذا جائز، وحسن للحاجة... وكذلك يترجم القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تفهيمه إياه بالترجمة»[4] .

فمن توجيهات الشيخ مصطفى _رحمه الله_ في هذه القضية " إهداء ترجمة القرآن لغير المسلم"، إذ يقول: «بعد أن تمت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى معظم لغات العالم الحية، وأصبحت هذه الترجمات وسيلة مهمة لتبليغ الآخرين بالرسالة وبصدق القرآن وقدسيته، فإنه يبدو لي ألا حرج في إهداء هذه الترجمة لغير المسلم بقصد الاطلاع والفهم»[5] ، فما يقصده الشيخ رحمه الله من هذا التوجيه، هو أنه لا مانع من ترجمة معاني القرآن وإهداءها لغير المسلمين، فترجمة القرآن الكريم لا تأخذ حكم المصحف، ولا تعتبر قرآناً، ولا تنزل منزلته من جميع النواحي إذ هي نظير تفسيره باللغة العربية؛ لتقريب معانيه، وللمساعدة على تدبره وفهمه.

و_ الكتابة في ثنايا المصحف " التنزيل"[6]**.**

سألت الشيخ في هذه المسألة، هل يجوز لي أن أنزّل في مصحفي الخاص؟ فأجابني بعدم جواز الكتابة في ثنايا المصحف لأي سبب كان؛ لأن الأصل صيانة المصحف الشريف من أن يكتب فيه غيره، بل يجب أن يكرم ويحافظ عليه قدر الطاقة، نظيفا مصونا في مكان لائق، مجلدا بما يليق به، وألا يعبث في أوراقه بشيء من كتابة أو نحوها، فإن من تعظيم حرمات الله وشعائره، صيانة المصحف عن كتابة كلام معه من غير القرآن الكريم.

2_ المقدار المحدد للتلاوة بالنسبة للحفاظ وعامة المسلمين.

اختلف العلماء في هذه المسألة، والأفضل أن تبرمج الختمة على شهر فأقل، إلى ثلاثة أيام، عن عبد الله بن عمرو، قال: «أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ^ ، فقال: ألقني به، فلقيته بعد فقال: كيف تصوم؟، قال: كل يوم، قال: وكيف تختم؟، قال: كل ليلة، قال: صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة، قلت: أطيق أكثر من ذلك قال: أفطر يومين وصم يوما، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم أفضل الصوم، صوم داود صيام يوم وإفطار يوم واقرأ في كل سبع ليال مرة»[7] .

ويقول السيوطي _رحمه الله_: « أخرج ابن أبي داود عن مكحول، قال: كان أقوياء أصحاب رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ يقرؤون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك »[8] . ويقول النووي: «كان السلف _رضي الله عنهم_ لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم، في كل شهر ختمة وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم في كل ثمان ليال، وعن الأكثرين في كل سبع ليال وعن بعضهم في كل ست، وعن بعضهم في كل خمس، وعن بعضهم في كل أربع، وعن كثيرين في كل ثلاث وعن بعضهم في كل ليلتين، وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمة، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتين ومنهم من كان يختم ثلاثا، وختم بعضهم ثمان ختمات أربعا بالليل وأربعا بالنهار»[9] .

---

(1) الواقعة: 76_79.
(2) التوبة من الآية: 28.
(3) المنتقى، شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي. 165/3.
(4) مجموع الفتاوى، تقي الدين ابن تيمية. 306/3.
(5) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 149.
(6) التنزيل: هو ما درج عليه الطلاب في الكتاتيب الليبية، بعد أن يكتب الطالب القرآن " ما هو المقرر بمعدل ثمن" في اللوح من شيخه بطريق الملّة، يقوم الشيخ بالتنزيل عند تصحيح ومراجعة اللوح، وهو عدّ المتشابه والغريب " المتكرر في القرآن "، وهذا يعين طالب القرآن على الحفظ، وخصوصا في الآيات المتشابهة.
(7) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن. 196/6.ح 5052.
(8) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي. 362/1.
(9) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا النووي. ص59.

ثم علّق النووي على هذه الأقوال بأن المختار: اختلاف ذلك بحال الناس، إذ يقول: «والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولا بنشر العلم، أو غيره من مهمات الدين، ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه، من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة »[1] .

وما ينصح به شيخنا ويوجّه به طلاب القرآن خاصة، وعامة المسلمين في هذه المسألة، هو حسب المقدرة والاستطاعة، شريطة ألا يغفل عن التلاوة، إذ يقول: «المؤمن الذي أكرمه الله يحفظ القرآن الكريم، أو مكّنه من التلاوة السليمة في المصحف، يجب أن يخصص شيئاً من وقته لتلاوة أجزاء من القرآن، حسب القدرة والاستطاعة وألا يغفل عن التلاوة، حتى لا يفلت منه ما جمع، أو ينسى ما حفظ.. فإن الحافظ التارك للتلاوة معرض للنسيان وقد قال العلماء استناداً إلى هدى الرسول ﷺ: إن أفضل المداومة على التلاوة، أن يختم الحافظ مع كل جمعة مع الحرص أن تكون هذه التلاوة خاشعة متأنية صحيحة. أما غير الحافظ، إذا كان يتقن القراءة من المصحف وتلقى أحكامها على يد معلم، فإنه يجب أن يكون مرتبطاً بكتاب الله بقدر استطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها»[2].

3_ فضل القرآن، والثواب الذي أعدّه الله لحفاظ القرآن.

إن حفظ القرآن الكريم، تحقيق لقوله تعالى: **سمم إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ سمم**[3] فهو كما يحفظ في السطور يحفظ في الصدور، فيرفع صاحبه في الجنة درجات، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي_ صلى الله عليه وسلم_ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» [4] ، إن حفظة القرآن هم أهل الله وخاصته، عن أنس _رضي الله عنه_ أن رسول الله_ صلى الله عليه وسلم_، قال: «إن لله أهلين من الناس، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» [5] .

يقول الشيخ مصطفى _رحمه الله_ في هذا التوجيه ": «القرآن الكريم هدية الله لخلقة، ومائدته في الأرض .. وقد اصطفى لحفظه أناساً من عباده قال فيهم **سممثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاسمم**إلى قوله **سممٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌسمم**[6] وحفظ كتاب الله الكريم في الصدور خصيصة من خصائص هذه الأمة، دون غيرها، إذ لم تكن الكتب السابقة تحفظ بهذه السهولة والسير اللذين يلقاهما حفاظ القرآن الكريم .والحافظ لكتاب الله تعالى، حين يتلوه، إنما يناجي ربه ويخاطبه بكلامه القديم، والملائكة تتلقف كل حرف ينطق به التالي ليحفظ له، وهي درجة عالية من الدنو إلى الله والتقرب منه ..وقد بشر النبي ﷺ التالين لآيات القرآن بأن لهم (بكل حرف عشر حسنات.. إلى ما شاء الله)[7] فما أعظم هذا الأجر للمؤمن الصادق الذي يتابع بقلبه ما يتلوه لسانه... فيتدبر المعاني ويستوعب الصور والمشاهد فيخشع قلبه، وتنشط جوارحه للعمل وحسن الأداء .. فإذا أضاف إلى حفظه وتلاوته، تعليم أبناء المسلمين، فإنه يكون مشمولاً بميزة أخرى، وفضل

آخر، كما يشير إلى هذا حديث الرسول_ صلى الله عليه وسلم_ (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[8] . وأفضال الله التي أنعم بها على حفاظ كتابه ومعلميه وتاليه كثيرة .. ومن أراد منها المزيد فليبحث عنها في مظانها من كتب علوم القرآن وتفاسيره»[9]

4_ نصيحة الشيخ لمن أتمّ حفظ القرآن.

تعليم القرآن فرض كفاية، فإن كان في البلد من يعلم الناس القرآن، فلا إثم على الجميع، قال النووي_رحمه الله_:

«تعليم المتعلمين فرض كفاية؛ فإن لم يكن من يصلح إلا واحد تعين، وإن كان هناك جماعة يحصل التعليم ببعضهم: فإن امتنعوا كلهم أثموا، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين، وإن طُلِب من أحدهم وامتنع، فأظهر الوجهين أنه لا يأثم، لكن يكره له ذلك، إن لم يكن عذر»[10] .

يوجه الشيخ نصيحته لمن حفظ القرآن، إذ يقول الشيخ _رحمه الله_: «نصيحتي لكل من أكرمه الله بحفظ كتابه ألا يبخل به عن طالبيه، وأن يستلذ ما يجده من عناء وصعوبة في سبيل تحقيق ذلك.. وأن يكون حريصاً على الاستزادة من تحصيل العلوم التي تمكنه من فهم وإجادة الحفظ والتبليغ .. وأن يتواضع ما استطاع مع طلابه ويعطف عليهم، ويشجعهم بكل ما يحبب إليهم

(1) المصدر نفسه. ص61.
(2) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 148.
(3) الحجر:9.
(4) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، 403/11. ح6799.
(5) أخرجه ابن ماجه، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فضل من تعلّم القرآن وعلمه.146/1.ح215.
(6) فاطر: 32_ 35.
(7) عن محمد بن كعب القرظي، يقول: سمعت عبد الله بن مسعود، يقول: قال رسول الله ^: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» أخرجه الترمذي، كتاب أبواب فضائل القرآن عن رسول الله ^ ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر.175/5.ح2910.
(8) سبق تخريجه، ينظر: ص7.
(9) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 147.
(10) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا النووي. ص 41.

القرآن والعمل بـه، وأن يرى ما يقدمه واجباً يؤديه، ورسالة يبلغها لأمته يمتن بها!! والله قد كلف العلماء أن يبلغوا غيرهم، ولم يطالب الجهلاء أن يتعلموا حين أخذ على العلماء أن يبلغوا .. **سممۥٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥسمم**[1] **سممۥوَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥسمم**[2]، ويقول الرسول ﷺ «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ونسأل الله الهداية والتوفيق للجميع.. والحمد الله رب العالمين»[3] .

وتأسيسا على ما تقدم، أقول:

1_ نحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى تعظيم هذا القرآن في النفوس والقلوب والصدور **سممذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢سمم**[4] فمِن حقّ القرآن علَينا ـ نحن المسلمين ـ المنافحةُ عَنه، وعدَم السكوتِ على من يتهَجَّم عليه أو يستهزئ به، أو يقوم بتدنيسِ آياتِ المصحَف الشّريف، أو امتهانٌ كِتاب الله عز وجل؛ فهذا عمَل مشين، وسلوكٌ دنيء، وإساءةٌ لجميع المسلمين، والواجبُ الإنكار الرسمي والشعبي.

2_ ينبغي لمعلِّم القرآن أن ينصح المتعلِّمين، ويبذل لهم كلَّ ما عنده من علم، فالنَّصيحة من صفات الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى مُخبراً عن هودٍ عليه السلام: **سممۥوَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٞسمم** [5] ، وقال عن نوح عليه السلام : **سممۥوَأَنصَحُ لَكُمۡسمم**[6]. وأصل النُّصح، إخلاص النِّيَّة من شوائب الفساد في المعاملة؛ بخلاف الغِش. وعلى المعلِّم أن يبادرَ إلى سؤال المتعلِّمين، ويبتدئَهم بالفائدة، ويحرِّضَهم على أخذ ما عنده من علم، كما فَعَل عليُّ بن أبي طالب _رضي الله عنه_ مع طلاَّبه حيث قال لهم: «سلوني، فَوَاللهِ لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاَّ حدَّثتكم به، وسلوني عن كتاب الله فَوَاللهِ ما منه آية إلاَّ وأنا أعلم بليلٍ نزلت أم بنهار، أم بسَهْلٍ أم بجبل... أيُّها النَّاس تعلَّموا العلمَ، واعملوا به، ومَنْ أشكل عليه شيء من كتاب الله فلْيسألْني عنه»[7] .

المطلب الرابع_ جهود الشيخ في تعليم وتدريس علم القراءات.

علم القراءات ذو أهميّة وشرف وفضل، وذلك لتعلقه بأشرف كتاب وأحسن كلام وأصدق حديث، فقد كان العلماء يدفعون طلابهم لتعلم هذا العلم وغيره من العلوم، منهم الشيخ محمد بن ساسي، المتخصص في علم القراءات الذي دفع بتلميذه "الشيخ مصطفى ɘ " لتعلّم هذا العلم.

يقول شيخنا: «من أبرز المشائخ الذين تعرّفت عليهم، بالفرع الزيتوني بقفصة، وكان لهم فضل التوجيه، فضيلة الشيخ المرحوم محمد بن ساسي، من منطقة الجريد مدينة توزر[8]،وكان ɘ متخصصاً في علوم القراءات، ولمّا علم أني أحفظ القرآن الكريم، نصحني أن أدرس القراءات وعلى الرغم من أن هذه الدراسة ستحوجني إلى جهد خارج الجهد، ووقت دراستي العادية للمنهج المقرر بالفرع الزيتوني، فإنني حرصتُ عليها، وحالفني التوفيق في دراستها، حيث حصلت على شهادة التخصص في علوم القراءات، والمتضمنة القراءات العشر المتواترة، ودراسة علم الرسم، والضبط والفواصل، وعلم التفسير، واللغة، والأسانيد، واستفدت من تشجيع وتوجيه هذا الشيخ الطيب الوقور»[9].

فحرص واهتمام الشيخ محمد بن ساسي ɘ، كانا دافعا وسببا في تعلّم الشيخ مصطفى ɘ علم القراءات.

مشائخ الشيخ "مصطفى" في علم القراءات.

أما عن مشائخه في علم القراءات، فكان لهم الدور المهم والأثر البالغ في التوجيه، يقول شيخنا: «وكان من ضمن مشائخي في علوم القراءات: الشيخ مصطفى الحمامي القيرواني، والذي كان له أبلغ الأثر في تعليمي وتوجيهي ومازلت أحمل له أطيب الذكريات في نفسي وهو أول من جمعت عليه القراءات السبع..والشيخ علي التركي، وكان

شيخاً للقراءات بالجامع الأعظم (الزيتونة) وهو من سفاقس[10] ، والشيخ عثمان العيادي أمدّ الله في حياته ومازلت

(1) المائدة، من الآية: 67.
(2) آل عمران، من الآية: 187.
(3) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 150.
(4) الحج، من الآية: 32.
(5) الأعراف، من الآية: 68.
(6) الأعراف، من الآية: 62.
(7) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر. 1: 465.
(8) توزر: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاي والراء، مدينة وواحة صحراوية، تقع في الجنوب الغربي لتونس، ويحدها كل من ولايتي قبلي وقفصة، أرضها سبخة، بها نخل كثير، تحدها الجزائر غربا. ينظر: معجم البلدان ياقوت الحموي. 2/ 57.
(9) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 141.
(10) سفاقس: بفتح أوّله وبعد الألف قاف، وآخره سين مهملة، مدينة تونسية، تقع على خليج قابس، تعتبر عاصمة الجنوب التونسي رغم أنّها تقع في وسط البلاد، وذلك لأنّها ثاني أكبر المدن التّونسيّة في المساحة، جلّ غلاتها الزيتون، وهي على ضفة الساحل ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي. ص 3/ 223.

مرتبطاً به حتى هذا الوقت (1998م)، وأتصل به هاتفياً بين وقت وآخر بتونس كلما أتيحت لي الفرصة، وكذلك الشيخ عبد الجواد البنغازي الليبي، والذي كان مدرساً بالزيتونة، وكنت أخذت عنه علم الرسم، وكذلك أذكر الشيخ عبد الواحد المرغني، ابن العلامة الكبير إبراهيم المرغني، صاحب التأليف وشيخ القراء بالزيتونة» [1].

فبعد نيل الشيخ مصطفى_ رحمه الله _ شهادة "التحصيل العلمي"، وعودته إلى أرض الوطن، سنة 1958م. أسندت إليه إدارة المدارس القرآنية لفترة زمنية، ثم جاء الأمر بإلغائها، فاتجه إلى تدريس القرآن وتحفيظه.

وإلى جانب ذلك، كانت للشيخ _رحمه الله_، جهود وإسهامات في علم القراءات، فأقام دورتين، دورة في تعليم أصول[2]رواية قالون[3] ، ودورة في شرح متن الشاطبية[4] ، كان ذلك في أواخر تسعينيات القرن الماضي حيث لم يكن علم القراءات منتشرا كما هو حاصل اليوم، فتعين على الشيخ فتح هاتين الدورتين:

دورة في تعليم أصول رواية قالون.

رواية قالون هي السائدة في بلادنا؛ لذلك اعتنى الشيخ بتدريس أصولها وطرقها، وما تنفرد به. فبعد أن يحفظ الطالب القرآن بالوجه المقدَّم (إسكان ميم الجمع وقصر المنفصل)، ينتقل به إلى دراسة الوجوه الأخرى [5] (أصول رواية قالون)، ويعني هذا أن الطالب لابد أن يلتزم بالوجه المقدّم، حتى يتسنى له دراسة ومعرفة الوجوه الأخرى.

تاريخ مـدّة الـــدورة.

انعقدت الدورة سنة 1995م، مدة الدراسة سنة كاملة، بمعدل حصتين في الأسبوع.

شـــروط للالتحاق بـــالـــدورة.

اشترط الشيخ على من يرغب في الالتحاق بالدورة، أن يكون حافظا للقرآن كاملا، ولم تقتصر الدورة على كتّاب أبي عمرو الداني" طلابه"، بل فتح المجال لطلاب الكتاتيب الأخرى، لمن يرغب في دراسة أصول رواية قالون.

الطريقة المتبعة.

يقرأ أحد الطلاب "الثمن"، ومن ثم يتعرّض الشيخ لأحكام وأصول رواية قالون، الواردة في الثمن الذي عرضه الطالب بالشرح والبيان.

الكتاب المقرر.

اعتمد الشيخ كتاب "الطريق المأمون إلى أصول رواية قالون من طريق الشاطبية"، لمؤلفه عبد الفتاح المرصفي1409هـ [6]، و أحيانا يوافق ما في الكتاب، وأحيانا يخالفه.

دورة لـدراســة مـتـن الـشـاطـبـيـة.

عندما انتهى الشيخ من تدريس أصول رواية قالون، بدأ بتدريس متن الشاطبية.

التاريخ الذي انعقدت فيه الدورة، وكم استغرقت؟

انعقدت الدورة أواخر سنة 1996م، وانتهت في أواخر سنة 1999م، ولكن في هذه المدة توقفت الدراسة سنة كاملة لسببين:

1_ اعتقال الجهات الأمنية، آنذاك، أحد طلاب الدورة ومن المقرّبين للشيخ " الشيخ أشرف المزوغي".

2_ وفاة الشيخ إبراهيم رفيدة[7]، الذي تربطه بالشيخ علاقة أخوية، فتأثر الشيخ تأثرا شديدا فتوقفت الدراسة لمدة شهرين.

---

(1) مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 142.

(2) الأصول(أصول القراءات): ويقصد بها: القواعد المطردة التي تنطبق على كل جزئيات القاعدة، والتي يكثر دورها ويتحد حكمها مثل: الاستعاذة، البسملة، الإدغام الكبير، هاء الكناية، المد والقصر، الهمزتين من كلمة ومن كلمتين، الإمالة، إلخ..
الفرش: هو الكلمات التي يقل دورها وتكرارها في المصحف، ولا تحكمها قاعدة، ولا يتحد حكمها. وتسمى أيضاً: الفروع، مثل قوله عز وجل {مَلِكِ}، {مَالِكِ}، {متاع}، {متاعُ} فهذا يعد من فرش الحروف، لعدم اندراجه ضمن أحد أبواب الأصول. ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، ابن القاصح. ص 148.

(3) رواية الإمام قالون عن نافع، رواية من روايات القرآن، متواترة في جميع طبقاتها، ولا أدل على تواترها من أن الإمام نافعا تلقّاها عن سبعين من التابعين، وتواترها في الأصول والفرش، وقد اهتم بها القراء وذكروها في مؤلفاتهم، منذ بدء عهد التأليف حتى يومنا هذا. ينظر: المصدر نفسه. ص148.

(4) متن الشاطبية، أول درجات السلم، لمن أراد أن يتعلم القراءات السبع، ومؤلفها هو القاسم بن فِيْرُّه بن خلف بن أحمد، أبو محمد وأبو القاسم الرُّعيني الأندلسي الشاطبي، المقرئ الضرير، توفي بمصر سنة 590 هـ، والشاطبي، نسبة إلى شَاطِبة، مدينة كبيرة بشرق الأندلس، خرج منها جماعة من العلماء.

(5) الوجه هو: ما نقل فيه التخيير عن الإمام أو عن أحد رواته. مثال ذلك: البسملة بين السورتين، قراءة ابن كثير وقراءة عاصم ورواية قالون عن نافع، مثلا البسملة بين السورتين لمن بسمل ثلاثة أوجه، ولا نقل ثلاث قراءات ولا ثلاث روايات ولا ثلاث طرق. ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري. 2/ 200.

(6) نقلت هذا مشافهة من: مختار غراب أحد طلبة الشيخ المتقدمين. يوم الجمعة 30 ذو الحجة/ 1443ه، الموافق 7/29 / 2022م، بمسجد عبد الله بن عمر، بعد صلاة العصر.

(7) هو الشيخ إبراهيم عبد الله محمد أحمد رفيدة، من قبيلة المقاصبة، ولد بمصراتة، بقرية القوشي، سنة 1931م، بدأ تعليمه بحفظ القرآن، على يد الشيخ عمر محمد البكباك، وتلقى بعد ذلك دروسًا في مبادئ بعض العلوم العربية والشرعية، كالنحو والفقه بين مصراتة وطرابلس والأزهر الشريف، توفي بمدينة طرابلس، سنة1999م، ودفن في مصراتة. ينظر: كتاب مع الناس الطاهر الطاهر النعاس. 2/ 37.

الشروط للالتحاق بالدورة.

الشيخ _رحمه الله _وضع شروطا، لمن أراد أن يلتحق بالدورة، وهذه الشروط هي:

1_حفظ القرآن كاملا، والمعرفة بأحكام التجويد.

قسّم الشيخ الطلاب إلى قسمين: طلابه، الذين يقرؤون عنده في الكتّاب، لم يجر لهم امتحان؛ لأنه على دراية بهم وبحفظهم، أما الطلاب الذين جاءوا من الكتاتيب أخرى، أجرى لهم امتحانا تحريريا، يتعلق بجانب الحفظ والتجويد.

2_حفظ الأصول من الشاطبية (الأربعمائة وأربعة وأربعون بيتا)[1] ، ثم خفّض في الشرط إلى مائتي بيت، وكان الشيخ لا يمتحن الطالب، وإنما يسأله هل تحفظ المائتي بيت أم لا؟ ويجعلها أمانة بينه وبين الله، ويقبله من ضمن الطلاب، وأثناء الدرس، يفتح المجال لعرض الأبيات من الذهن.

بهذه الشروط قَبِل الشيخ تسعة عشر طالبا في هذه الدورة.

الكتاب المقرر في الدورة.

هو في الحقيقة مجموعة كتب، ولكن لنذرة الكتب، بدأ الشيخ _رحمه الله _ بكتاب: إرشاد المريد إلى مقصود القصيد في القراءات السبع، لمؤلفه علي الضباع، درّس به فترة وجيزة، ولكن ليس هذا الكتاب الذي يريد أن يعتمده الشيخ ويدرّسه، ولما تيسّر الأمر في توفير كتاب آخر، وهو: الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، لمؤلفه عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: 1403هـ)، صار لكل طالب نسخة من هذا الكتاب، اعتمد الشيخ هذا الكتاب؛ ليكون المنهج المقرر للدورة.

إلى جانب هذا الكتاب المقرر والمعتمد، استعان بكتابين آخرين، وهما: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (وهو شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي)،لمؤلفه أبي القاسم علي بن عثمان المعروف بابن القاصح (المتوفى: 801هـ)، وشرح شعلة على الشاطبية المسمى كنز المعاني في شرح حرز الأماني، لمؤلفه محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي، المعروف بشعلة، وكان الشيخ يحب هذا الكتاب، ويثني عليه، ويفيد منه.

طريقة الشيخ في تدريس متن الشاطبية.

ألزم الشيخ طلاب الدورة بحفظ متن الشاطبية؛ لأنها الأساس في الدراسة، وتمكّن الطالب في علم القراءات، فأوّل ما يبدأ به الدرس عرض الأبيات، (عشرين إلى خمس وعشرين بيتا) فيطلب من كل طالب عرضها، وقبل أن يبدأ بشرح الدرس الجديد، يطلب من أحد الطلاب شرح الأبيات (عشرين إلى خمس وعشرين بيتا)، التي تم تناولها بالشرح في الدرس السابق، والغاية في ذلك ربط الدرس السابق بالدرس الجديد.

ومن ثم يبدأ بشرح الدرس، ويكون ذلك ببيان وشرح الأبيات والمسائل الواردة فيه، وعند تناول مسألة معينة مختلف فيها بين القراء، كان يركز ويهتم بقول الإمام قالون، ويقول: الحمد لله، هذا الوجه هو الموافق، وهذا الذي ندرّس به في بلادنا، وما عليه في كتاتيبنا.

وبعد الشرح المستفيض وطرح المسائل الخلافية، يطلب من أحد الطلاب قراءة الدرس من الكتاب، والقصد من ذلك؛ الزيادة في الشرح والبيان، واستدراك ما فاته ربما عند الشرح.

الاختبارات الشفوية والتحريرية.

يختبر الشيخ طلابه عند أول كل درس، اختبارا شفويا عن الدرس السابق، أو يطرح بيتا من الشاطبية، ويطلب من أحد الطلاب شرحه، ويطلب أحيانا من أحد الطلاب شرح باب كامل، كباب الاستعاذة، وباب البسملة، ولكن كامتحان عام، لم يجر الشيخ إلا امتحانا تحريريا واحدا، واشترط ألا تكتب الأسماء على كراسات الإجابة، ويكتفي الطالب بوضع رمز على ورقته؛ ليعرفها عندما تسلّم بعد تصحيحها، والغاية من ذلكو أن الشيخ لا يريد أن يعرف مستوى كل طالب بعينه، وإنما يريد أن يعرف المستوى العام للدورة، فكان تقييمه شديدا وصارما.

ما هي النصائح التي كان يوجّهها الشيخ لطلاب الدورة؟

طلاب هذه الدورة لهم خصوصية، بحكم أنهم يحفظون كتاب الله، تلاوة وضبطا ورسما، إلى جانب ذلك، كانت لهم مكانة خاصة عند الشيخ، فكان يقدم النصائح والتوجيهات، أبرز هذه النصائح:

1_ حفظ المتن " متن الشاطبية"، فكان دائما ينصح طلاب الدورة بحفظ المتن؛ لأن حفظ المتن يعين على فهمه

2_ كان الشيخ دائما يقول لطلابه: الطالب الناجح هو الذي يتغلب على ظروفه، والطالب الفاشل دائما يتكئ على ظروفه؛ ليغيب عن الدرس.

(1) الأصول هي (باب الاستعاذة، وباب البسملة، وسورة أم القرآن، وباب الإدغام الكبير، وباب هاء الكناية، وباب المد والقصر وباب الهمزتين من كلمة، وباب الهمزتين من كلمتين، وباب الهمز المفرد، وباب النقل، وباب وقف حمزة وهشام، وأبواب الإظهار والإدغام الصغير، وباب أحكام النون الساكنة والتنوين، وباب الفتح والإمالة، وباب هاء التأنيث، وباب الراءات، وباب اللامات وباب الوقف على أواخر الكلم، وباب الوقف على مرسوم الخط، وباب ياءات الإضافة، وباب ياءات الزوائد).

الانطباع العام عن الشيخ "مصطفى" والدورة.

أما عن الشيخ فكان يجمع بين الشدة والصرامة والسهولة اللين، فعند بداية الدرس، لا نكاد نرفع رؤوسنا، ولكن عند الاسترسال في الشرح والبيان يمزح معنا، وفي الحقيقة، الشيخ يقسو حينما تجب القسوة، ولكنها قسوة على من يحب قسوة من يريد لطلابه الخير.

وأما عن الدورة، فقد أفدنا إفادة عظيمة، خصوصا في ذلك الوقت الذي لم يكن علم القراءات منتشرا كما هو حاصل اليوم، فكان درس القراءات منارة علم[1].

وتأسيسا على ما تقدم، أقول: إن الشيخ _رحمه الله_ لم يكتم هذا العلم _ علم القراءات _ ولم يجعله حبيسا على طلابه، بل انتفع منه كل طلاب القرآن؛ لأنه يعلم يقينا أن كتمان العلم فيه وعيد شديد من الله_سبحانه وتعالى_ يقول عزوجل: **سمم إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ سمم**[2] ،يقول القرطبي رحمه الله: « "قيل: المراد كل من كتم الحق، فهي عامة في كل من كتم علما من دين الله ، يُحتاج إلى بثه، وذلك مفسر في قوله صلى الله عليه وسلم: من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار[3] »[4] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) أفادني بجهود الشيخ مصطفى _رحمه الله _في علم القراءات، طلابه البارزين، وهم (الشيخ عبد الباسط الفرجاني، الشيخ أشرف المزوغي، الشيخ عبد الكريم التومي)، فوجّهت لهم مجموعة من الأسئلة، مشافهة، بتاريخ 26 / رمضان / 1445م الموافق 6 / 4 / 2024م، بعد صلاة العصر.

(2) البقرة: 159.

(3) أخرجه ابن ماجه، أبواب السنة، باب من سئل عن علم فكتمه، 1 / 178. ح 266.

(4) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي. 184/2.

الـــخـــاتـــمـــة.

تم بعون الله وتوفيقه بلوغ هذا البحث المتواضع، وإن من أهم النتائج والتوصيات التي توصّل إليها الباحث، ما يلي:

الـــنـــتـــائـــج.

1_ إن لعصر الشيخ_ رحمه الله_ (هجرة والداه وأهله إلى تونس نتيجة الظروف المعيشية التي فرضها الاحتلال الإيطالي)، كان لها الأثر البالغ في تكوين شخصيته العلمية، فناضل شيخنا_ رحمه الله_ من أجل حفظ القرآن وتعلّم علومه في رحاب جامع الزيتونة.

2_ الشيخ مصطفى قشقش ﷺ ، كان له دور متميز في إدارة المدارس القرآنية، حيث شهدت بلادنا" ليبيا"، نهضة قرآنية كبيرة، يشهد لها القاصي والداني، إلى يومنا هذا.

3_ للشيخ مصطفى قشقش، جهود وإسهامات تذكر فتشكر، في توجيه الطلاب ونصحهم وإرشادهم.

4_ للشيخ مصطفى قشقش، جهود في تعليم أصول رواية قالون، وعلم القراءات، في زمن لم يكن علم القراءات منتشرا كما هو حاصل اليوم.

الـــتـــوصـــيـــات.

الباحث وفي خاتمة هذا العمل، يوصي بالآتي:

1_ يوصى الدوائر الحكومية، ومن هم أصحاب القرار، بالعناية بعلماء الشريعة، وإعلاء شأنهم والرفع من مكانتهم في المجتمع، وإظهارهم بما يليق بهم.

2_ بدعوة الجامعات والمراكز البحثية، إلى العناية بتراث علماء ليبيا، الذين هاجروا إلى تونس وغيرها، بسبب الظروف التي فرضها الاحتلال الإيطالي آنذاك، وإصدار موسوعة تستوعب آثارهم.

3_ بإقامة مزيد من هذه المؤتمرات والندوات، لفتح الباب أمام عديد الباحثين، للتعريف بما يمتاز به بلدنا " ليبيا " من أعلام، في جميع مناحي الثقافة العربية والإسلامية.

وفي الختام أقول: والله حسبي إني قد كرّست جهدي ما استطعت إلى ذلك سبيلا، في إلقاء الضوء على جهود شيخنا (مصطفى أحمد قشقش _رحمه الله_) في خدمة القرآن وعلومه.

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، وما يسّره لي من جمعه، وأسأله _سبحانه وتعالى_ أن أكون قد وفقّت في إيراد المطلوب، وأن يغفر لي ما اجتهدت فيه فأخطأت، وما سبق فيه القلم فزللت، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم. اللهم آمين...وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع.

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة النبوية.
1_ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1394هـ_ 1974م.
2_ تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. د. ت، د.ط.
3_ التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1414هـ_ 1994 م.
4_ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة 1409ه/ 1989م.
5_ التذكار في أفضل الأذكار من القرآن الكريم، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1406هـ_ 1986م.
6_ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى 1419 هـ.
7_ جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى 1414هـ.
8_ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية 1384هـ - 1964 م.
9_ حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: 1230هـ)، دار الفكر، د. ط، د.ت.
10_ سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، أبو القاسم (أو أبو البقاء) علي بن محمد بن أحمد بن الحسن، المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (المتوفى: 801هـ)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، 1373 هـ- 1954م.
11_ سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د. ت / د. ط.
12_ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط ، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى 1430ه_ 2009م.
13_ سنن ابن ماجه، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى،1430هـ_2009م.
14_ سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى 1411ه.
15_ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ.
16_ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د. ط / د. ت.
17_ عارضة الأحوذي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543 هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، د.ط / د.ت.
18_ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة بيروت، 1379ه.
19_ فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، 1356ه.
20_ مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن تيمية الحنبلي الدمشقي (المتوفى:728هـ)، المحقق: أنور الباز _عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426هـ_2005م.
21_ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
22_ معجم البلدان الليبية، الطاهر أحمد الزاوي، مكتبة النور. طرابلس ليبيا. الطبعة الأولى، 1388ه.
23_ معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى:626هـ)، دار صادر بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1995م.

24_ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، د. ت / د. ط.
25_ مع الناس، الطاهر الطاهر النعاس، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس. ليبيا 2009م. د.ت / د.ط.
26_منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ)، دار الفكر، بيروت، 1409هـ_1989م.
27_ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392ه.
28_ المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ)، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، 1332 هـ.
29_ الموسوعة التاريخية، عَلوي بن عبد القادر السقاف وآخرون، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net
30_ النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير محمد بن الجزري، تصحيح الشيخ علي محمد الضباع مطبعة مصطفى محمد البابي الحلبي، القاهرة، د. ت / د.ط.
31_ نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، محمود مقديش، تحقيق: علي الزواري محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1988 م.

*** الـــدوريـــات**

مجلة جامعة الزيتونة، تصدر عن جامعة الزيتونة، ليبيا، العدد الثامن، السنة الثانية، فصل الخريف، 2013م.